

## زيارة حكمة مغربية مشتركة القيّم: عميت حي كوهن

ذهبت لبحث التاريخ في قرية تيزكي التي لا ذكر لها على أي خارطة في العالم. وصل جد أبي، شالوم عمار للعيش فيها في أوائل القرن الماضي. كان منزله الوحيد المبني من الباطون في القرية، بحسب البناء الأمازيغي القديم والبني - نبوّة للمستقبل، حيث يتفوق الجديد على القديم، يرتكز عليه ويعلو نحو ارتفاعات أخرى، يبدو كالرقعة على خلفيته أحياناً، وينتج جمالية جديدة. نهر جارٍ على بعد خطوات من الباب الأمامي في مشهد طبيعي ضخم. بجوار المنزل، على بعد حوالي عشرة أمتار، هنالك مسجد. الله أكبر.

بدأ كل ذلك من أرض عارية وصحراء قاحلة. كذلك في نتيّفوت، حيث ترعرعت، لم يبدُ في الأفق شيئاً سوى السماء. لكن هذا الفراغ الذي يلتجئ إليه الرومانسيون ليمكثوا في سحره هو ملل لا نهاية له لمن يعيش فيه، وهو الأرض الذي تنبتق منها الخيالات، هو السبب لرغبتك في الهروب إلى المدينة. خذوا الصحراء وأصالتها وأعطوني أسفلتنا وشرفة تطل على صف من المقاهي. سوف آتي لزيارتكم.

وبين المغرب ونتيّفوت لا تراوما منفي تذكر: إسألوا أي أي امرأة عجوز وستخبركم في الحال عن التمور الضخمة هناك. بينما لا يزال قلب المصريين والعراقيين والبولنديين مجروح. تتفوق الذاكرة على التاريخ. على بعد سنوات يسهل نسيان الموحدين، والذميين وقوانين عمر. إذا كان المنفي تصدعا بالنسبة للآخرين، فإن التصدع لدى اليهود المغاربة يكمن في القوم إلى البلاد، وهو تصدع يجردنا من أي تسلسل تاريخي، من أي وعي يربط بين 2500 عاما ويستطيع أن يمد خطأً بين أمازيغي من تحنوت وبين أم وحيدة من العفولة، بين مزامير الصالحين من القرن الثامن عشر وبين فيديو على يوتيوب يظهر فيه هيبستر يعلم التوراة بالعربية المغربية. لا يوجد عالم واحد في خيالنا، إنما تقاليد صور. التصور البصري للمنفي موجود هناك، ونحن هنا.

مرت عدة أجيال، وأصبحت القدس منفي، مدينة يومية، بينما يسافر إلى المغرب أعداد كبيرة من اليهود بحثاً عن القداسة. في كُون موازٍ، يعيد المغاربة المسلمون صياغة توقعهم لليهود في الأبحاث، في الثقافة وفي الموسيقى. مثقفون مغاربة يدعون إلى ترميم المباني اليهودية، مصممو الأزياء يستخدمون الملابس التقليدية اليهودية المغربية كمصدر إلهام. رسامون يلصقون على الخيش شالات صلاة يجدونها في أسواق مراكش. وفي عالم الانستغرام، حيث لا مكان أو سلطة للمحافظين الذين يقدسون التقاليد، نرى فجأة العلاقة بين غيتار حاييم بوطبول العراقي وبين هيب هوب عصام، بين صور سقف مراكش في عيون إسماعيل زيدي وبين براءة جداتنا اللاتي علّقن الغسيل الذي لا نهاية له على شرفات نتيّفوت الحارّة. في هذا العالم الواسع، ينتج المغاربة في كل مكان لغة بصرية عميقة توجد حكمة واحدة.